مقدمة البحث

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى شَرَح صُدورَ أهلِ الإسلام للاهتداء بالسنة النبويَّة، فانقادَتْ قلوبُهم لاتِّباعها وارتاحَتْ لسماعِها، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الدَّاعى إلى المحجةِ البيضاء النَّقِيَّة، فقامَتْ به الحجةُ البالغةُ بعد انقطاعِها.

ورضوانُ الله على أصحابِه الكرام الذين ضَبَطُوا لنا أقوالَه وأفعالَه وأحوالَه، فحُفِظَتْ بهم السُّننُ الشَّريفةُ مِنْ نقصِها وضياعِها، وعلى التابعين لهم بإيمانٍ وإحسانٍ النجباءِ الأبرارِ الأمناءِ الأطهارِ، الذين نهضوا بتلقِّيها وتبليغِها وسماعِها وإسماعِها، فأدَّوْها كما وَعَوْها خالفًا عن سالفٍ، فَبَلَغَتْنَا بعد أربعة عشر قرنًا بصَفائِها ونقائِها وبهائِها ونورِها.

لقد بذل المحدثون أعظمَ الجهدِ للحفاظ على السنة المشرفة، وصيانتِها من الوضع والتزييف، وحمايتِها من التبديل والتحريف، وأسفرت مجهوداتُهم عن أقومِ وأدقِّ منهجٍ نقدى عَرَفَهُ التاريخُ، حتى صارت الطريقةُ المتبعةُ فى الإسلام لتوثيق الأحاديث النبوية أفضلَ طريقٍ وأعلاها، لا تدانيها فى دقتها وسموها أى طريقة علمية اتُّبعت فى توثيق الروايات، ولا شك أن هؤلاء المحدثين كانوا يعملون بهداية من الله ورعاية وتوفيق، لأنهم كانوا الأدواتِ والوسائلَ إلى تحقيق وعده الصادقِ النافذِ، الذى لا يَعُوقُ نفاذَه شيءٌ، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] والذكر هو القرآن والسنة.

وكان الإمام الدَّارَقُطْنِى أحد هؤلاء النجباء الأمناء، الذين اختارهم الله للقيام بواجب تبليغ السنة والحفاظ عليها، والتمييز بين صحيحها وسقيمها، فصنف التصانيف النافعة إسهامًا فى الوصول إلى هذه الغاية الشريفة.

ولَمَّا كان كتابه «السنن» من أهم مصنفاته، ولم يُفصح عن مقصده من تصنيفه، ولم يُعرب عن شرطه فيه، فقد وقع اختيارى عليه لمعرفة منهجه وخطته، والكشف عما حواه من فنون الصناعة الحديثية، وإبراز ما اشتمل عليه من قواعد فى إعلال الحديث، وبيان أثره فى مسائل الخلاف بين الفقهاء، فكان هذا هو السبب فى اختيارى لهذا البحث، وتنبع أهمية هذا البحث

لكونه محاولة لفهم مقاصد الكتاب، وتقريب علومه ومعارفه إلى أهل العلم.

وقد وقفتُ على رسالة بعنوان «الإمام الدارقطنى وكتابه السنن»[١]، ظننتُ للوهلة الأولى أن عملى سيكون تكرارًا لها، ثم تبين لى بعد النظر فيها، أنها لا تُغنى بحال عن دراسة الكتاب، لأن كاتبها لم يتطرق إلى منهج الكتاب إلا من خلال مبحث صغير يقع فى تسع عشرة ورقة[٢]، تكلم فيه عن درجة أحاديث الكتاب ومقاصده وتبويبه وتكرار الأحاديث وتفرد الدارقطنى بأحاديث فى سننه، فاختزل المنهج فى هذه الجزئيات، وهذه الرسالة فى مجملها تفتقر إلى التحقيق العلمي، ويغلب عليها الأسلوب الخطابي، واكتفى كاتبها فى كثير من المباحث بالجمع والفهرسة[٣]، ناهيك عن الأوهام والأغلاط التى وقع فيها، وقد أشرتُ إلى بعضها فى ثنايا هذا البحث.

صعوبات واجهت البحث:

أُولى الصعوبات التى واجهت البحث: هى اختيار النسخة التى يُعتمد عليها من كتاب «السنن»، وذلك لعدم الوثوق الكافى فى النسخ المطبوعة من الكتاب، إما لكثرة التحريفات وإما للنقص، ولضرورة الاعتماد على نسخة موثقة، فقد تكبدت عناء مقابلة طبعة السيد عبد الله هاشم يمانى على نسختين خطيتين، حتى اطمأننت لسلامة النص، وسوف نلمس آثار هذه المقابلة فى مواضع متفرقة من البحث.

---

(١) كانت هذه الرسالة أطروحة الدكتوراه التى قدمها الدكتور عبد الله الرحيلى إلى قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٣ هـ. والتى طُبعت فيما بعد بعنوان «الإمام الدارقطنى وآثاره العلمية» بدار الأندلس الخضراء بجدة سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م. لأن العنوان القديم غير مطابق للمادة العلمية التى اشتملت عليها الرسالة.

(٢) الإمام الدارقطنى وآثاره العلمية (ص٢٨٠، ٢٩٨).

(٣) انظر على سبيل المثال: (ص٥٥، ٧٣) أسماء شيوخ الدارقطنى فى سننه مرتبين على حروف المعجم. وانظر أيضًا (ص٣٠٢، ٣١١) بيان بالأحاديث التى حكم عليها فى السنن بالصحة أو الحسن أو الضعف. وانظر أيضًا (ص٣٥٩، ٤٤٧) فهرس الأعلام المذكورين فى السنن بجرح أو تعديل.

ومن الصعوبات أيضًا تشعب مادة الكتاب فى شتى مناحى علوم الحديث، وتعلقها بعلم الفقه والخلاف، ومنها ندرة الدراسات المتعلقة بالكتاب، وقد تغلبت على جميع ذلك بكثرة الرجوع إلى كتب مصطلح الحديث، وكتب العلل والرجال، وشروح كتب السنة، وكتب الفقه المذهبى والمقارن.

منهج البحث:

لقد اعتمدتُ فى المقام الأول فى هذا البحث على القراءة المتأنية «لسنن الدارقطني»، فرصدتُ من خلالها جزئيات كثيرة، تتعلق بمنهجه فى الكتاب وآرائه فى علوم الحديث، ثم ألحقتُ النظير بنظيره، والشبيه بشبيهه، حتى استطعت تحديد ملامح منهج الكتاب، ومعرفة رأيه فى كثير من أنواع الحديث.

والتزمتُ الرجوع إلى المصنفات المعتمدة فى كل فن، وعزوت كل قول لقائله، لأن مِنْ بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وعزوتُ الآيات القرآنية إلى أماكنها فى الكتاب الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

وخرَّجتُ الأحاديث والآثار المذكورة فى البحث على كثرتها، وعزوتها إلى أماكنها من كتب السنة المعتمدة، فإذا كان الحديث فى الصحيحين اقتصرتُ عليهما، وإذا لم يكن فيهما ذكرتُ مَنْ أخرجه من أصحاب السنن الأربعة، فإذا لم يخرج فى الستة أخرجته من مظانه الأخرى، مراعيًا فى جميع ذلك التقاء طريق الحديث المطلوب تخريجه، مع المصادر المخرَّج منها فى أحد رجال الإسناد، مع الاتفاق فى لفظ المتن أو معناه.

وترجمتُ لبعض الأعلام عند الحاجة لذلك، وذكرتُ أقوال النقاد فى بعض رواة الأسانيد، لبيان أحوالهم ومقارنتها بأقوال الدارقطنى فيهم.

محتوى البحث:

لقد بدأت البحث بتمهيد يتضمن التعريف بالإمام الدارقطني، عرضتُ فيه لسيرته منذ

ولادته حتى وفاته، وترجمت لجماعة من شيوخه وتلاميذه، وذكرت العلوم التى برع فيها، وسردت طائفة من مصنفاته، ثم انتقلت إلى التعريف بكتابه «السنن»، فذكرت الخلاف فى تسميته، وتأكدت من نسبته لمصنفه، وذكرت عدد أحاديثه وتاريخ تصنيفه، ووصفت طبعاته وأهم مخطوطاته، وترجمت لجماعة من رواته، وعرَّفت بموضوعه ودرجة أحاديثه إجمالاً، وذكرت إسنادى للكتاب، اتباعًا لطريقة السلف فى النقل بالإسناد.

وخصصت الباب الأول لمنهج الدارقطنى فى إيراد الحديث، فذكرت فيه طرقه المتعددة فى عرض الأسانيد والمتون، وطرقه فى التحمل والأداء، وأساليبه فى التعريف بالرواة، ومنهجه فى تقسيم الكتاب وترتيب الأبواب وتكرار الأحاديث، وطريقته فى شرح الغريب، ورصدت عباراته فى الحكم على الحديث، وألفاظه فى جرح الرواة وتعديلهم.

ولما كان الكلام فى العلل كثير فى الكتاب، فقد أفردت الباب الثانى لمنهجه فى إعلال الحديث أو دفع العلة عنه، فأظهرت منهجه فى اختلاف الرواة فى السند والمتن، وطرقه فى الجمع أو الترجيح بين الاختلافات، وأوضحت أثر الاختلاف فى المتن فى اختلاف الفقهاء، وقد استعنت بالإكثار من الأمثلة، لمعرفة منهجه فى مسائل هذا الفن الدقيق.

وخصصت الباب الثالث لبيان أثر الكتاب فى مسائل الخلاف، وصدرته بفصل عن العلاقة بين الحنفية والدارقطني، جليت فيه موقف الدارقطنى من أئمة الحنفية وأدلتهم، وردود أفعال الحنفية تجاه ذلك، ثم جملة من مسائل الخلاف، وراعيت فى اختيارى لها أن تكون صالحة لعمل جزء حديثي، عرضت فيها للخلاف الفقهى فى المسألة، متقيِّدًا بالرجوع إلى المصادر المعتمدة لكل مذهب، معتمدًا فى سياق أدلة المذاهب على «السنن»، إلا فى مواضع يسيرة جدًّا، سقت فيها بعض الأدلة من كتب أخرى إكمالاً للفائدة.

ثم أنهيتُ البحث بخاتمة تشتمل على أهم نتائجه، وذيلتُه بفهارس تسهل الاستفادة منه وهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من زلل فمنى، والله أسأل أن

يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

تقسيم البحث: يشتمل البحث على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

تمهيد: فى التعريف بالإمام الدارقطنى وكتابه السنن

الفصل الأول: التعريف بالإمام الدارقطنى

المبحث الأول: حياته وصفاته

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: علومه ومصنفاته

الفصل الثاني: التعريف بكتاب سنن الدارقطني

المبحث الأول: وصف كتاب السنن

المبحث الثاني: موضوع الكتاب ودرجة أحاديثه

المبحث الثالث: منزلة الكتاب وعناية العلماء به

الباب الأول: منهج الدارقطنى فى إيراد الحديث والحكم عليه والجرح والتعديل

الفصل الأول: منهج الدارقطنى فى إيراد الإسناد

المبحث الأول: تعريف الإسناد وأهميته واختصاص الأمة به

المبحث الثاني: طرقه فى إيراد الإسناد

المبحث الثالث: طرقه فى التحمل والأداء

المبحث الرابع: طرقه فى التعريف بالرواة

المبحث الخامس: طرقه فى تخريج الحديث

obeikandl.com

الفصل الثاني: منهج الدارقطنى فى إيراد المتن

المبحث الأول: تعريف المتن ومكانته فى التشريع

المبحث الثاني: منهجه فى تقسيم وترتيب الأحاديث

المبحث الثالث: منهجه فى إيراد المتن والاختلاف فيه

المبحث الرابع: منهجه فى شرح الغريب

المبحث الخامس: منهجه فى الاختصار والتخفيف

الفصل الثالث: منهج الدارقطنى فى الحكم على الحديث

المبحث الأول: ألفاظه فى الحكم على الحديث

المبحث الثاني: الحكم بالإرسال

المبحث الثالث: الحكم بالانقطاع

المبحث الرابع: الحكم بالتفرد

الفصل الرابع: منهج الدارقطنى فى الجرح والتعديل

المبحث الأول: نبذة عن علم الجرح والتعديل

المبحث الثاني: منهجه فى التوثيق والتعديل

المبحث الثالث: منهجه فى الجرح والتليين

المبحث الرابع: منهجه فى التجهيل

الباب الثاني: منهج الدارقطنى فى إعلال الحديث

الفصل الأول: الاختلاف بين الرواة فى الحديث

obeikandi.com

المبحث الأول: تعريف الاختلاف وأسبابه وأقسامه

المبحث الثاني: منهج الدارقطنى فى إيراد الاختلاف

الفصل الثاني: الاختلاف فى السند

المبحث الأول: تعارض الوصل والإرسال

المبحث الثاني: تعارض الرفع والوقف

المبحث الثالث: الاختلاف فى راوى الحديث

المبحث الرابع: الاختلاف فى الجمع والإفراد

المبحث الخامس: الاختلاف بزيادة راوٍ أو نقصانه

الفصل الثالث: الاختلاف فى المتن

المبحث الأول: الاختلاف بالزيادة

المبحث الثاني: الاختلاف بالإدراج

المبحث الثالث: الاختلاف بالاستبدال

المبحث الرابع: الاختلاف فى العدد

المبحث الرابع: الاختلاف بالتقديم والتأخير

الفصل الرابع: الاختلاف فى السند والمتن معًا

الباب الثالث: أثر سنن الدارقطنى فى اختلاف الفقهاء

الفصل الأول: بين الإمامين أبى حنيفة والدارقطني

المبحث الأول: موقف الدارقطنى من الحنفية

obeikandl.com

المبحث الثاني: أحاديث خولف فيها أبو حنيفة

الفصل الثاني: مسائل من كتاب الطهارة

الفصل الثالث: مسائل من كتاب الصلاة

الخاتمة: تشتمل على نتائج البحث.

الفهارس الفنية: وتشتمل على ثبت المصادر وفهرس المحتوى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

obeikandl.com